ومرة أخرى لنختتم حديثنا عن الرومانتيكية بقول للناقد الثوري الديمقراطي العظيم بيلينسكي يحدد فيه جوهر الانتقال الى الواقعية ، يقول بيلينسكي :

« الاقتراب من الحياة ، من الواقع ، هو السبب المباشر في نضج الفترة الأخيرة من أدبنا ورجولتها . ان كلمة (المثل الأعلى) لم تأخذ مدلولها الحقيقي إلا الآن . من قبل ، كان المقصود بهذه الكلمة شيئا يشبه « لايروق لك — لاتسمع ، ولكن لاتعيقنا عن الكذب » شيئا تتحد فيه جميع الفضائل أوجميع العيوب الممكنة ... اما الآن ، فالمثل الأعلى ليس مبالغة وليس كذبا وليس خيال اطفال بل حقيقة من الواقع مأخوذة كما هي ، ولكنها ليست منسوخة عن الواقع نسخا وانما مأخوذة عبر خيال الشاعر مضاءة بنور ماهو ذو قيمة شاملة (وليس استثنائيا أوخاصا اومصادفا) ، مشيدة جوهرةً من جواهر الخلق والابداع ».

بايـــــرون :

ولد جورج غوردون بايرون في مدينة لندن من اب ارستقراطي مفلس وام سكوتلاندية ثرية . وقضى طفولته في سكوتلانده التي اعتاد ان يسميها بلاده لأنه أحبها كثيرا واجتذبته طبيعتها الجميلة وحياة فلاحيها البسيطة المستقلة الحرة .

وفي عام ١٨٠١ ادخل بايرون مدرسة داخلية ارستقراطية بالقرب من لندن . وفيها بدأ ينظم الشعر ثم تابع دراسته في كمبردج حيث اصدر ديوانه الشعري الأول « ساعات الفراغ » في عام ١٨٠٧ ، أي بعد سنتين من دخوله الجامعة وقد ظهر في هذا الديوان اتجاه بايرون الرومانتيكي وبرزت عنده روح التقليد رغم مايلمسه المرء من اصالة وديمقراطية في أشعاره .

ويشاء القدر أن تكتب احدى المجلات نقدا سلبيا على مجموعة بايرون الشعرية الأولى فتثور ثائرة الشاعر ويرد على ذلك النقد بهجاء لاذع يتناول فيه الاتجاه الرومانتيكي الرجعي الانكليزي من أوله الى آخره . لقد كان رد بايرون الهجائي نقطة هامة في تاريخ الأدب الانكليزي . فلأول مرة يتناول النقد الجارح اسماء ادباء كان يظن انها فوق الشك ، ولأول مرة يسدد بايرون ضربات قاصمة الى مدرسة البحيرات (المدرسة الشعرية التي كانت تمثل الاتجاه الرومانتيكي الرجعي) . هاجم بايرون هذه المدرسة من ناحيتي المضمون والشكل ، فوقف ضد معاداة شعراء البحيرات للعقل واخضاعهم الشخصية الانسانية للغيبيات والأخيلة المرضية وناقشهم في مواضيع اللغة والمفردات والأوزان وطرح نهجا جديدا كل الجدة في